



المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: الواقع السياسي العراقي بعد عام (2003م) وتحديات بناء الدولة

اسم الكاتب: م. حسن حسين كاظم

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2121>

تاريخ الاسترداد: 2026/05/12 12:51 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينصوي المقال تحتها.



الواقع السياسي العراقي بعد عام (٢٠٠٣م)

وتحديات بناء الدولة

The political reality after Iraqi 2003 A.D.
and the challenges of nation-building.

المدرس

حسن حسين كاظم

المقدمة: - (Introduction)

العلل التي يعاني منها مجتمع العراق كثيرة أبرزها الواقع المتردّي للفرد العراقي في ظل المتغيرات الخارجية التي فرضت عليه سابقاً أدت لمتناقضات اقتصادية، ثقافية أثرت على بنيويته المجتمعية، وما يفرزه الواقع الحالي من تناقضات فكرية، سياسية أظهرت معالمها حالات الصراع، وعدم الاستقرار الأمني الذي ترتب عليه انغلاق اجتماعي عنيف أحياناً زيادة على الإهراصات في هيكلية الدولة. إن البحث يعبر عن حالة التصدع الحاصلة لمجتمع العراق وما آلت إليه أوضاع النظم السياسية التحزبية غير المسؤولة التي آذت الفرد، والمجتمع مما اضعف أداء الدولة التي دبت فيها ظاهرة الفساد الإداري حيث أصبحت متفشية في مختلف الأطر الثقافية، العمرانية بالتالي قتلت روح الطموح التي كانت، وما زالت في مخيلة المجتمع لتأسيس دولته المدنية القادرة على التطور، والحدثة.

هدف البحث

إلى فتح مجال إمام المؤمنين بوحدة العراق، وحقه في بناء دولة آمنة مستقرة تعبر عن إرادة صحته تعمل على وضع الحلول اللازمة لتخطي محن النهوض لهذا الجزء المهم من الأمة العربية كي يحظى طموح أبنائه بمصدقية بعيداً عن المزایدات، والمهاترات السياسية اللاواعية الغير مؤمنة بقدراتهم، وأصالة أهله.

مشكلة البحث:-

تكمن في سعة مواضيعه المتشعبة حيث لا يستطع بحث واحد من تغطيتها، بل أكثر من ذلك تتلخص المشكلة في جدلية العلاقة بين طبيعة النظام السياسي السائد في العراق من ناحية والاستقرار المجتمعي، والسياسي من جهة أخرى من حيث ماهية العلائق المختلفة الأنواع متعلقة بالأنظمة الوطنية التي حكمت العراق الملكية، والجمهورية، ومدى أفضلية احدهما على الأخرى في شؤون البلاد عبر المراحل التي مرت. هل هناك نظام سياسي يمكن أن يكون البديل الأفضل للحكم على المكاسب، ويكون متناغماً مع طبيعة التركيبة السكانية لمجتمع العراق قد حاولنا تغطية محاور حسب قدراتنا المتواضعة.

فرضية البحث:-

شكلت معادلة حسابية متساوية الأطراف. أولها علاقة ايجابية بين النظام السياسي من جانب، والطرف الثاني للمعادلة هي ايجابية التفاعل، والاستقرار السياسي من طرف آخر. أي كلما كان نظام الحكم مدركاً للطبيعة الاجتماعية كلما كان قادراً على تحقيق الاستقرار وبناء الدولة.

منهجية البحث:-

اعتمدت المنهج الاستقرائي للاستدلال على الإحداث السياسية عبر فترات مختلفة من تاريخ العراق ثم وظف المنهج المقارن للمفاضلة بين الظواهر السياسية بما فيها (النظم السياسية) ضمن فترات زمنية محددة من تاريخ العراق الحديث، والمعاصر بعد ذلك تم تحليل تلكم الظواهر قدر المستطاع، وقبل الإجابة على الفروض التي طرحها البحث لابد من التعرج على بعض المفاهيم الأساسية والمصطلحات كمفهوم أو مصطلح النظام السياسي حيث يرى الدكتور صادق الأسود أستاذ علم الاجتماع السياسي إن النظم السياسية أصبحت شمولية الأنشطة لم يقتصر مجال عملها بمحتوية السلطة الضيقة التقليدية التي تنصب الدراسة فيها على شرعنة نظام الحكم السياسي ضمن مفهوم القانون الدستوري تقليداً بل أصبح يتدخل في شتى المجالات الاقتصادية، الاجتماعية، الفكرية مترجماً عن المفهوم التقليدي للنظام السياسي الذي كان مهتماً بشكل السلطة فقط بل تعداه نتيجة للتوسع في تطور مفهوم النظم السياسية، وتعدد مجالاتها. إما اصطلاح الدولة بمعناها الواسع الشمولي هي تصح بشري ترابطي مصلحي مشتركة ضمن رقعة جغرافية معينة لها نظام اجتماعي سياسي، وقانوني ينظم العلائق بين أفراد هذا التجمع وفق نظام سياسي مفروض الطاعة لأجل المحافظة على كيان الوحدة الجمعية. يصح القول إنها كيان سياسي، قانوني منظم يشمل مجموعة من الأفراد يقيمون على أرض محددة، و يخضعون لتنظيم سياسي، قانوني، و اجتماعي تفرضه السلطة.

موضوع البحث:-

هي الإجابة عن متغيرين طرحها موضوع البحث بصيغ التساؤل الذي لا بد من مناقشته
توقف على المعوقات التي حالت دون تحقيق دولة العراق. كان التساؤل كلاتي:-

ما أن المجتمع العراقي يطمح لبناء دولة عصرية قادرة على توفير الاستقرار السياسي، وتحقيق الرفاهية
اقتصادية، والاجتماعية؟ وما هي المتغيرات المعتمدة لتحقيق هذا الطموح؟

الإجابة شكلت محاور ثلاثة هم:-

١- اثر النظم السياسية العراقية من عام ١٩٢١-٢٠٠٣م. في بناء المجتمع، والدولة. ضمن هذا
المحور تطرقنا إلى النظم السياسية التي حكمت وتحكمت في مصير مجتمع العراق وتأثير ذلك في
بناء الدولة بالضد أم بالإيجاب.

٢- الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م وأمركة مجتمعه. بينا في هذا المحور ما ألت إليه الدولة
المجتمع من حالات الترددي، وفقدان الإرادة -السيادة- التي هي أهم مقوم لبناء الدولة.

٣- الأسس العلمية، والعملية لتأسيس مشروع بناء الدولة. هذا المحور هو رؤى مستقبلية لما يجب إن
عناية المجتمع، والدولة حسب وجهة نظرنا المتواضع.

٤- هي خلاصة ما توصلنا إليها من نتائج، وأراء قد تكون منطلقا لدراسات أكثر شمولية
في مجالات مختلفة تتعلق بأوضاع العراق ثم التعرف على مشاكله للبدء في وضع العلاج

بمساعدة من الله العون والسداد-

المحور الأول:- اثر النظم السياسية العراقية من عام ١٩٢١-٢٠٠٣م. في بناء المجتمع والدولة.

Axist:- after the political systems of Iraq in 1921-2003 AD. In building

the society and the State الاستماع قراءة صوتية للكلمات

إن النظم السياسية للدولة طبقا للدراسات التاريخية غالبا ما يعتمد وجودها، أو تكوينها على
تساع في سبي القوة العسكرية، والدين. القوة أهم وسيلة للوحدة السياسية المجتمعية الممهدة لظهور النظام

هي تجمع سبي للدولة. إما عامل الدين هو المحرك الغيبي لتوحيد المجتمعات البشرية ضمن معتقدات دينية
وطني ينظر حية ترغيبية، ترهيبية ذات طقوس تتصف بقدسيته الملزمة للجميع. استغل هذا العامل كي يوظف

ان الوحدة للنظام السياسي. ثم اعتمد التكوين عاملا أخرى في العصور اللاحقة هو الطابع القومي الذي

اضعف العاملين الديني، والعسكري خصوصا بعد عصر النهضة^١. يفترض بأن تكون الدوافع الرئيسة لنشوء الدول (نظامها السياسي) عبر التاريخ هو تحقيق اكبر قدر ممكن من الرفاهية، والاستقرار المستدام لصالحها مع مجتمعاتها التي تحكمها بغض النظر عن كيفية نشأة هذه النظم رغم تباين المجتمعات عبر العصور، وما تحققة هذه النظم من نجاح، أو فشل وصولا للغايات. يعتمد تكوين النظام كليا على وجود المجتمع لأنه جزء من منظوماته المجتمعية الأخرى بل أهم منظومة فيه سوا كان المجتمع متطورا، أم متخلفا فالنظام يعبر عن المجتمع تعبيرا حقيقيا سلبا أو إيجابا. يرى المفكر بريجيس دبوريه(*) إن الثورة قدر الشعوب الأقل من الشر، والاسوء شرا هو غيابها، وإلا رجعت الشعوب إلى قانون الغاب أو ما يسمى العودة للطبيعة. النظام السياسي للدولة كالعقل البشرية إذ ما فسد العقل فقد الإنسان أهلية التصرف وسلبت أراذته. المحصلة إن الدولة (النظام السياسي)، وصيرورة عملها هو امتداد اجتماعي معبر عن واقع حال المجتمع إذا ما تخلفت عنه فهو المقوم لاجتاجها ربما يؤدي لاستبدالها بالطرائق المتغيرة كالتظاهر، والاعتصام، أو استخدام العنف كالثورة الشعبية. من الصعب إن نجد مجتمع مدني في محيطنا الإقليمي، والدولي له استقلالية عن إرادة النظام السياسي حيث انه يتأثر فيه، ويؤثر به رغم القيود المتزايدة التي تفرضها النظم على أنشطة المجتمع المدني المؤدية لعوامل الخوف متفاوت الدرجات حسب عوامل الزمان، المكان، التطور الثقافي للمجتمع^٢. الحقبة التاريخية التي عاشها مجتمع العراق منذ سقوط الخلافة العباسية، وتدمير الحضارة العربية الإسلامية اثر سقوط بغداد مركز الخلافة على المغول التتار عام ١٢٥٨م ثم تلاه الاحتلال العثماني الذي عد من أسوء ألحقب في تاريخ العراق كل عصر من التخلف، والاضطهاد الاجتماعي لطمس المعالم الحضارية التي دلت عليها سياسة التتار التي مارسها الدولة العثمانية على اغلب الدول العربية من منع استخدام اللغة العربية لأنها تنكسر العنصر الرئيسي للحضارة العربية الإسلامية، والموروث الفكري لمجتمع العراق. كي تعزله عن حاضريته الإراث الحضارية لابد من إجباره على استخدام لغة المستعمر (التركية) لتغيير هويته العربية عبر الوقت إضافة لسلب ثروات البلاد، واستعباد العباد بتجنيد الرجال قسرا وزجهم في حروب خارج الأوطان.

1 د.موسى محمد آل طويرش. -العثمانية هل هي خطيئة- دار المرئضى -بغداد- ٢٠٠٨م -ص ١٥ .

(*) بريجيس دبوريه مفكر وسياسي فرنسي وهو رئيس مجلة ميديوم السريانية التي يصدرها في فرنسا وهو مناضل يساري نشط تشي غيفارا وسجن في المعتقلات البولينية وشغل منصب مستشار للرئيس الفرنسي ميتران سنة ٢٠٠٧م مؤلفاته اثنتان وستون وزائر الفجر ١٩٩٨ مطبعة الفرات وثورة في الثورة ٢٠٠٦ للمزيد راجع - للمفكر - كتاب لكي لا نستسلم - ترجمة بسام حيدر - ١٩٩٥ - المركز الثقافي العربي .

2 باقر سلمان النجار - المجتمع المدني في الوطن العربي - المستقبل العربي - العدد ٣٣٨ - لسنة ٢٠٠٧ م . ص ٦٠

مر العراق بمراحل عصيبة من تأريخه السياسي قد تكالبت عليه قوى الشرّ اللئيل من مكائنه الحضارية المرموقة، ولنهب خيراته فحكمه العثمانيون قرابة أربعة قرون بين مدّ وجزر من الاضطهاد، والاستعباد عانى الشعب حالات من ضنك العيش مع حرمان سياسي، واضطهاد عرقي أدى إلى تأخر ثقافي تركمي لقرون عده إضافة لسوء الأحوال الاجتماعية استمرت ظروف التردّي على هذا المنوال حتى بعد الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٧م. استبشر العراقيون خيراً، وأفرحهم الاحتلال ضنوا أنه المخلص لعاناتهم من الاستعمار التركي المستبد. سرعان ما انقلب الترحاب إلى تدمير شديد لأسباب عدة منها: أولاً- إن مجتمع العراق عاش في الحقبة الأخيرة من السيطرة العثمانية نوعاً من الحرية- لم يألفها بعد الاحتلال البريطاني- نتيجة للضعف الإداري، واللامبالاة العثمانية في الاهتمام بشؤون العراق الإدارية. أصبح هم الولاية جمع الضرائب دون مراعاة الحالة المعيشية لمجتمع العراق رغم بعض الإصلاحات التي من المؤمل إن تتم في زمن والي العراق العثماني مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧١م) لم تكن بالفترة الكافية لانجاز تلك الإصلاحات. كانت الروابط بين المجتمع والدولة مغيبة إلى حد ما، والعلائق الاجتماعية تحكمها الأعراف الدينية والعشائرية السائدة آنذاك مما أعطي انطباعاً بان أفراد مجتمع العراق غير مقيدون إلا بهذين المتغيرين الديني، والعشائري إضافة لدفع الضرائب للأتراك لاجتباب شرورهم لم تكن هنالك قوانين، أو دساتير تحكم تنظم الحالات الاجتماعية، والاقتصادية مجتمع العراق سوا لوائح، وقوانين المحتل العثماني التي تخدم، وتحمي مصالحه في العراق عكس ما عرف عن الانكليز من صرامة في تطبيق اللوائح، وسن القوانين للبلدان التي تستعمرها ليس حبا بهذه البلدان إنما لسهولة السيطرة عليها وربطها بعجلته الاستعمارية الأمر الذي لم يعتاده مجتمع العراق من الحكم العثماني -عدا التشديد في جمع الضرائب كما أسلفنا- لذلك خلق نوع من التمرد ضد المحتل للمطالبة بالاستقلال، والتحرر من السيطرة البريطانية ١.

ثانياً :- إن الاحتلال البريطاني للعراق زاد من القدرة الشرائية للمجتمع نتيجة لما تنفقه بريطانيا لشراء أسلحة، وبناء المعسكرات هذه الزيادة حضت بها مجاميع قليلة من أفراد المجتمع أدت إلى خلق طبقات متميزة في مجتمع العراق بين غني مفرط للأقلية، وفقير شديد عانتته الأغلبية انعكس بالضد اتجاه الاحتلال البريطاني ٢.

ثالثاً- حرص الأتراك في حكمهم العراق على تأجيج الصراع بين العشائر وإضعافها حتى لا تكون قادرة موحدة لمقاومتهم. هذه الحالة من الشد فسحت المجال لإمام أبناء القبائل للنزوح للمدن، والقصبات تبعاً من الالتزام العشائري الراض للترك في عين الوقت اضعف العشائر لنزوح أبناءها للمدن، إما سياسة بريطانيا هي السعي لتوحيد عشائر المنطقة الواحدة ثم اختيار شيخ واحد ليكون عوناً لهم في السيطرة على هذه المناطق يمد بالمال مع السلاح، وأعطيت لهؤلاء الشيوخ أراضي واسعة بغير حق ورطب مصير هؤلاء الشيوخ بالامبريالية الجديدة، ومدافعون عن مصالحها. إن طريقة تعيين الشيوخ الحد للعشائر لم يراعى فيها السنن المتعارف عليها في الاختيار، وهو هدر لكرامة العرف القبلي المتوارث الموروث من الإباء للأبناء مما ولد استياء لدى شيوخ، وإفراد العشائر الأخرى، وهو سبب مهم لمقاومة المحتل الذي كان أشد وطأة وأكثر حقداً من العثمانيين في التفرقة والتمييز الطائفي معتمداً سياسة (فرق تسد) التي عرفت بها سياسة بريطانيا اتجاه مستعمراتها.

كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى مقاومة الاحتلال الذي كان أكثر لؤماً من الأتراك من نية الثروات، وفرض أنظمة ذات مبادئ لا تتفق مع معتقدات المجتمع الدينية، وأوضاعه البنوية حتى مناهجه الفكرية. أقصموا المجتمع بضرائب قاسية أوجدت الشقاق، والتناحر بين أبناء المجتمع كان أشدها بين العشائر. انتشر السطو في أزقة المدن نتيجة لكثرة العاطلين عن العمل أما النزاع العشائري كان بسبب استيلاء بريطانيا على الأراضي الزراعية العائدة لشيوخ مناوئين لها بحجة عدم دفع الضرائب ثم إعطائها للشيوخ الجدد. من جملة ما خطط له أيضاً محاولة تغيير التركيبة المجتمعية للعراق، وتمزيق وحدته الوطنية، وقتل روح المواطنة(*) عبر توطين الآلاف من الهنود السيخ في مناطق العراق الجنوبية، ودمج هذه المناطق إدارياً بإمارة بومباي الهندية إضافة إلى مسخ الهوية الإسلامية للمجتمع، وربطه بعجلة الثقافة الغربية ٢.

1 كاظم المظفر- ثورة العراق التحررية - العراق - مطبعة النجف-سنة ١٩٧٦م-ج ١-ص ٣-١

(*) لا توجد كلمة مواطن في اللغات العربية والتركية والفارسية وإنما كلمة مواطن ذات أصول لاتينية وفي التراث التركي تعني البلد. الآن يعمل الكثير على استحضار واستقدام المواطنة والعمل على تحويلها بعد ما عانت وهما إلى حقيقة بعد ما كانت مجردة وبالنسبة للنظمة. إن اعتماد آليات الحكم الديمقراطي من التداول السلمي للسلطة وبناء دولة مؤسسات وحكم القانون والمحافظة على التوازن بين منظومة الحقوق والواجبات واحترام كيان الحريات الفردية بدون هيمنة أبوية أو وصاية باعتبار المواطنة حقاً متساوياً بالانتماء للوطن وحقاً طبيعياً للإنسان وعدم اعتماد حقوق إضافية لبعض المواطنين على اعتبار ديني أو عرقي يتنافى مع التمسك بالمنية الحديثة). انظر محمد الشامخ- آليات البناء المدني للإنسان العراقي-مجتمع منفي، صحيفة الصباح-٣١-٧-٢٠٠٩

2 محمد الحسني الشيرازي-صفحات من تاريخ العراق السياسي - قم - إيران - سنة ٢٠٠٠م ص ٩

أصيب شعب العراق بخيبة أمل مريرة نتيجة الهيمنة على البلاد ما فتئ إن تخلص من الاستعمار التركي ليقع تحت سيطرة بريطانيا التي ركزت أقدامها ثم جمعت حولها عدد من ضباط الجيش العثماني السابقين اللذين أدوا المجتمع ، ورؤساء العشائر الجدد الذين منحتهم قوات الاحتلال سلطات واسعة للسيطرة على مناطقهم . لكن شعب العراق لم يكن راضياً على ما آلت إليه الأمور حيث قامت عدة انتفاضات ضد الاستعمار الأنكليزي منها ثورة النجف عام ١٩١٨م امتدت إلى الحلة ، وكربلاء وقد تمت محاصرة أغلب المناطق التي انتفضت حيث دام حصارها أكثر من ٤٥ يوماً . وفي السليمانية اندلعت ثورة الشيخ محمود الحفيد عام ١٩١٩م لكن سرعان ما أخمدت لعدم التكافؤ بين الثوار ، والتسليح العسكري البريطاني مع ما يمتلك من مهارات . استمر الكفاح الشعبي ضد الاستعمار البريطاني بعد إن قامت مقاصده لأدامت الهيمنة على العراق حينها أصدرت عصبة الأمم - المسيطر عليها من قبل بريطانيا - صك الانتداب البريطاني على العراق في ١٧ حزيران ١٩٢٠م الذي جاء فيه : (حيث أن حكومة جلالتها قد تقررت وكالتها في خصوص العراق ، فنتوقع جعل العراق مستقلاً تضمن استقلاله صحة عصبة الأمم ، وتكليف الحكومة البريطانية بالمسؤولية في حفظ السلم الداخلي والأمن الخارجي ، بعد انقضاء الإدارة العسكرية سنعطي السلطة للسير (بيرسي كوكس) لتنظيم مجلس شوري تحت رئاسة عربي ٢٢. هكذا كشف صك الانتداب الأهداف الحقيقية للسياسة البريطانية مما أثار صدوره موجة غضب عارمة لدى كافة فئات شعب العراق كان لدور عشائر العراق الأثر الكبير في أيقاد الجذوة التي شملت معظم مدن العراق لمقاومة النفوذ البريطاني. يتفق اغلب المؤرخون إن السبب المباشر لاندلاع الثورة هو اعتقال بعض شيوخ عشائر مدينة الرميثة في السماوة مركز محافظة المثنى وانتقلت إلى أرجاء العراق كله. كانت المقاومة أكثر تأثيراً وأشدّها على المحتل في مناطق الفرات ، وقوت الأوساط لوجود علائق قوية بين عشائر هذه المدن الثلاث المثنى،الناصرية،الديوانية حيث تشكل عشائر تقلا سكانيا في تلكم المناطق. عامل آخر مضاف مهم أجج العواطف في أماكن أخرى من العراق خاصة مناطق عشائر زوبع الممتدة بين بغداد والفلوجة نتيجة لأوامر الحاكم الأنكليزي بإلقاء قنص على بعض شيوخ القبائل ثم الاستخفاف بهم، وإذلالهم ، كالشيخ ضاري الشعلان الذي زج في السجن لاتهامه مع بعض وجهاء قبيلته بقتل الكولونيل(الجمان) حكم على الشيخ ضاري بالإعدام لكن بقي حالته الصحية خفف حكمه إلى المؤبد لم تمضي إلا أيام قلائل تدهورت حالته الصحية ادخل

على أثرها المستشفى رقد مدة قصيرة ثم حقن بمادة قاتلة بعدها فارق الحياة. كما هو ديدن الغرب في تصفية الخصوم إضافة لعجرتهم، وتعاليمهم، وأكثرهم عنجهية الانكليز . يقول احد قادتهم وهو (Thomas Reginald Guise)، في مذكراته (إن أهل العراق لهم طبيعة فوضوية مشاغبة معروفة لدى الأوربيين من عدم رغبة العراقيين في الغرب عموماً، وبريطانيا خصوصاً هو ليس بالأمر الجيد فهم لا يحبون إي شكل من أشكال الحكم بسبب ما جبلوا عليه بهذه الغرائز التي أصبحت موروثاً لهم في التمرد، والخروج على القانون، واقتراء الجرائم العنيفة)١. لو فرضنا جدلاً صحة هذه المقولة كيف يتفق أناس فوضويون حسب تعبيرهم بالتمرد، والعصيان ثم مقاومة المحتل؟ إن الفوضوي لأن تكون له أهداف واضحة حتى إن كانت فهي لا تعدو أكثر من كونها عبثية لا ترقى لمستوى الثورة، والتضحية بالأنفس من أجل الاستقلال. لاشك إن مصادرة الحريات زيادة على الاعتداءات المستمرة من جانب الانجليز على السكان الأمنيين، وسوء تصرف الحكام السياسيين المعينين من قبل الانكليز، وإشاعة الفرقة بين العشائر، والطوائف أسباب كافية للتصدي لهم، ومقاومتهم. إن سياسة الإرهاب، البطش، امتهان كرامة الرموز الوطنية التي مارستها، وسارت عليها الإدارة البريطانية شكلت مع غيرها عوامل دفع لقيام ثورة عام ١٩٢٠م التي شارك فيها اغلب أبناء شعب العراق لطرد المحتل ثم تحقيق الاستقلال التام. رغم عدم انجازها بصيغة كاملة إلا أنها أثرت في تغيير سياسة المحتل العسكرية اتجاه العراق من إقامة حكم وطني لأن الاحتلال العسكري كلفهم آلاف القتلى زيادة على الإنفاق المالي الذي أثقل كاهل الخزينة البريطانية التي كانت تتوء بأعباء الحرب العالمية الأولى٢. لتجنب المزيد من الخسائر البشرية والمادية في العراق سعت بريطانيا لعقد مؤتمر القاهرة عام ١٩٢٠ لتدارك الموقف بعد فشلها في حكم العراق بصيغة مباشرة اثر ثورة العشرين لذلك غيرت من سياستها إلى الحكم غير المباشر حيث قامت بتشكيل حكومة ملكية مؤقتة تحت إدارة مجلس من الوزراء العراقيين يشرف عليه الحاكم الأعلى البريطاني. عند العام ١٩٢١م انتخب فيصل ابن الحسين الهاشمي الحجازي الأصل ملكاً على العراق، واكتفى الانكليز بالاحتفاظ ببعض القواعد العسكرية بعد تكبير البلاد بقيود ثقيلة ضمننت لهم فعلية غير مكلفة على مقدرات العراق السياسية، الاقتصادية، العسكرية، الثقافية مع سائر المحطات الأخرى٣. مقارنة بسيطة بين الاستعمارين العثماني، الانكليزي، العثماني تعامل مع العراق لا كوحدة

1 Thomas Reginald Guise. The Ins And Outs Of Mesopotamia. London: A. M Philpot, 1

1923. Lynch, Cecelia .P, 192-195.

2 د. عبد الرزاق الحسني- الثورة العراقية الكبرى - ٨٨ لبنان - صيدا- ١٩٧٢م- ص ٨٧-

3 المصدر نفسه ص ٩٤

إدارية واحدة، أو كبلد موحد بل فرضت عليه تجزئة إدارية اجتماعية حيث لم يكن شعب العراق ينظر إلى
 هه كمشعب واحدا يسعى إلى الوحدة، والاستقلال في إطار حدوده الجغرافية رغم وجود بعض الحركات
 القومية العربية السرية مع حركات سياسية تركية كالاتحاد والترقي، وتركيا الفتاة في الولايات الثلاثة
 السبب يعود للسياسة العثمانية التي قتلت روح المواطنة، والطموح في مجتمع العراق. إما الاستعمار
 البريطاني قام بدمج ولايات العراق الثلاث في إقليم واحد مركزه بغداد كانت حركة نكية لكسب ود
 العراق، والود العربي المتعاطف مع شعب العراق، وإيهام العالم بأنهم جاءوا محررين لا فاتحين حسب
 شعاراتهم المعلنة التي لم تنطلي على مجتمع العراق عندما جاهدهم عبر سلسلة من الأحداث والثورات،
 والأزمات خاصة بعد ثورة عام ١٩٢٠م الشعبية. من نتائجه مؤتمر القاهرة الذي كان تحت إشراف وزارة
 المستعمرات البريطانية التي يديرها تشرشل آنذاك هي ترشيح الأمير فيصل بن الحسين ليكون ملكا
 على العراق حيث وافق فيصل بشرط إجراء استفتاء عام في العراق ثم إقامة نظام ديمقراطي. وافق
 العراقيون بأغلبية كبيرة جدا على مجيء فيصل ملكا للعراق. بدأت تتشكل في العراق قوى سياسية من
 الصباط العرب الذين خدموا في جيش الترك مع قيادات سياسية، دينية، محلية إضافة لرؤساء القبائل.
 سلك البعض السبل الدبلوماسية في التعاون مع الإنكليز لتكوين دولة العراق ثم استقلالها آخرون اتجه
 نحو المعارضة السياسية ثمة أخرى بقيت نزعتها عسكرية تبغي مواصلة الكفاح المسلح ضد الاحتلال ١.
 بدأت تجمعات النخب تتكون في إطار دولة العراق ضمن تحالفات، ومعارضات لوضع القانون الأساسي
 للعراق الذي منح الملك سلطة تعليق، وحل البرلمان مع اختيار رئيس الوزراء، وسلطات واسعة في
 قضايا الأمن، المال حتى صلاحيات تنفيذ بنود المعاهدات. اختير ياسين الهاشمي رئيسا للوزراء ثم
 خلفه لفترة طويلة نوري السعيد كانت علاقته جيدة بالملك حتى تشكيلته أول وزارة عام ١٩٣٠ بعدها أخذ
 تصرف من مركز قوة مما كان يثير حفيظة فيصل الأول كان ينظر إليه بحذر مترقب ما برح إن تفجر
 شكل صراع سياسي تأمري بسبب قضية تتعلق بإضراب عام ١٩٣١ نتيجة لزيادة الضرائب، والرسوم
 على المواطنين، وأصحاب المهن من قبل وزارة نوري السعيد ٢ أيضا كان الإضراب احتجاجا على فرض
 معاهدة طويلة الأمد عام ١٩٣٠ بين العراق، وبريطانيا كان لنوري السعيد الدور المهم في عقد هذه
 المعاهدة الجديدة لعلاقته الوطيدة مع الإنكليز. كان الشعب العراقي يدرك من خلال متفقيه أن
 المفاوضات لن تطول، وهذا ما حدث فعلا فقد أعلن بيان رسمي للحكومة في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ عن

١- شارلز تريب -صفحات من تاريخ العراق المعاصر حتى عام ٢٠٠٢م ترجمة- زينة جابر إدريس- الدار العربية للعلوم-بيروت-

٢- ٢٠٠٦م- ص ٨٥

٣- عبد أنعابي-ماذا فعل نوري سعيد ليلة وفاة الملك فيصل الأول-جريدة المدى-العدد-١٩٢٩-سنة-٢٠١٠

التنمي
غازي ما
عرف آذ
الطائفة
خاله كه
رعاية
السياسة
١٩٤٤-٥
العراق معا
الخطر الش
أثر معارضة
ومن يقف
إسرائيل. لذلك
التصريح للحد
عسكري عا
في نظام ا
الظم الجمه
أخذ تأميم
شروعات الف
في الجماهير
سوى ال
التفكري
تحت نحو ا

توقيع معاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا تنفذ حال قبول العراق عضواً في عصبة الأمم ، وأنها ستنتشر في البلدين بوقت واحد يتفق عليه ١. في العام ١٩٣٢ وافقت هيئة الانتدابات التابعة لعصبة الأمم على قبول العراق دولة مستقلة، وأصبح عضواً في عصبة الأمم.

يعتبر الملك فيصل الأول مؤسس الدولة العراقية الحديثة لخبرته في إدارة شؤون البلاد اكتسبها من خلال حكمه كملك على سوريا قبل أن يأتي العراق. اتصفت سياسته بالازدواجية إثناء حكمه العراق كان يوازن بين ما يريده الإنكليز ، ومتطلبات بناء الدولة، والمجتمع. اعتمد تعيين قادة من العراقيين الذين كانوا يشغلون مراكز هامة في سوريا عندما جاءوا معه من سوريا بعد احتلالها من قبل فرنسا اثر معركة ميلسون عام ١٩٢٠م لتفخته فيهم ثم تقلدهم مناصب عالية في دولة العراق رغم إن اغلبهم قليلي الخبرة قد حاول الملك فيصل إن يكون قائداً موجهاً لهم كذلك نجحت سياسته مع الإنكليز ، وإرضاء الشعب إلى حداً ما حيث حصل العراق على استقلاله ، وخرج من الانتداب البريطاني، واعترف به عضواً في منظمة عصبة الأمم ٢. بعد وفاة الملك فيصل في العام ١٩٣٣م صار تكالب الساسة لإشغال المناصب أشد طيلة ثمانية سنوات- (ما أشبه اليوم بالبارحة قد يوحي لنا بان التاريخ يعيد نفسه بعد قرن إلا نيف من السنين لكن بصيغ أكثر شراسة)- حالة مزرية من التأمر ، والدسائس أرادت إن تبعد الملك غازي الذي اخلف أباه الملك فيصل كان شاباً قليل الاهتمام بعالم السياسة. حاول نوري السعيد جاهداً منع الأمير غازي من إن يكون ملكاً خلفاً لوالده أراد تنصيب عمه الأمير زيد مكانه إلا انه فشل في مسعاه بسبب معارضة رئيس الحكومة رشيد عالي الكيلاني ٣. حدث ضد الملك غازي أول انقلاب عسكري فاش في فترة حكمه قادة بكر صدقي(*) ١٩٣٦م محاولة من صدقي لإعادة وزارة حكمت سليمان للحكم توالت حكومات قادتها شخصيات قوية نافذة في عهد غازي لكنها واجهت صراعات ، وانقلابات خطيرة كانت أشجع فترة حكم مر فيها مجتمع العراق من إهمال ، وتهميش بسبب تعاقب أنظمة الحكم التي لم تتمكن من تحقيق مصالح المجتمع أو لعلها كانت تتغاضى عن مطالبه . بعد وفاة الملك غازي عام ١٩٣٩/٤/٤م اثر حادث دبر له تولى مجلس الوزراء حقوق الملك الدستورية، وفقاً للمادة ٢٢ من الباب

1 دلحامد الحمداني -صفحات من تاريخ العراق-مصدر سابق- الجزء الخامس ص ١٢

2 سلميان موسى - منكرات الأمير زيد - عمان - ١٩٧٦م- ص ٢٠٤

3 عبد الرزاق الحسني - تاريخ الولايات العراقية-الفصل ٧- بغداد- دار المأمون للنشر-١٩٨٨م- ص ٣١٩-٣٢٠.

(*) ولد بكر صدقي عام ١٨٦٦ من أبوين كرديين ، في قرية [عسكر] قرب كركوك . درس في الأستانة ، في المدرسة لحنية وتخرج منها ضابطاً في الجيش العثماني، وشارك في الحرب العالمية الأولى ، في آخر سنينها ، وبعد نهاية الحرب وتعدت الإمبراطورية العثمانية ، انضم إلى الجيش العراقي الذي تأسس في ٦ كانون الثاني ١٩٢١ برتبة ملازم أول) للمزيد راجع حمداني م ص ٥٠ الفصل الثامن- ص ١-١٢

التي من الدستور العراقي الملكي لعام ١٩٢٥ م ، وجرى الإعلان عن تولي فيصل الثاني ابن الملك غازي ملكا للعراق تحت الوصايا لصغر سنه ثم سمي خاله عبد الإله وصياً عليه. كان مجتمع العراق عرف آنذاك مقت الملك غازي، وكرمه الشديد لابن عمه، واخو زوجته عبد الإله نتيجة لتصرفاته الضعيفة لذلك لا يعقل إن يوصي غازي لعبد الإله ،ويأتمنه على المملكة ،وطفله الذي لم يكن يتوود عنه كما أن الملك غازي بعد الحادث حسب التقرير الطبي كان فاقد للوعي حتى وفاته ١. الحقيقة أن وصاية عبد الإله رتب لها من قبل السفارة البريطانية ،وحكومة نوري السعيد الذي هيمن على الحياة السياسية العراقية حتى العام ٢١٩٥٨ ساهم العراق برئاسة نوري السعيد في تأسيس جامعة الدول العربية ١٩٤٤-١٩٤٥ وفي صياغة ميثاقها الذي أكد على استقلالية الدول الأعضاء، وفي عام ١٩٥٥ وقع العراق معاهدة حلف بغداد مع تركيا بحجة الدفاع عن السلم والأمن في منطقة الشرق الأوسط من الخطر الشيوعي وبدوافع بريطانية حيث انضمت إليه لاحقاً،وانضمت إليه كلا من إيران، وباكستان مما أثر معارضة عراقية، وعربية ضد هذا المشروع لان الخطر الحقيقي في المنطقة العربية هي إسرائيل ومن يقف ورائها، وليس الاتحاد السوفيتي الذي أمسى الممول الأكبر للدول العربية بالسلاح لمواجهة إسرائيل. لذلك اتهم نوري السعيد بتهديد الأمن القومي العربي بعد استنكار الرئيس المصري جمال عبد الناصر للحلف ٣. وكان نتيجة هذه المتغيرات التي انعكست على المنطقة ومنها العراق وقع انقلاب عسكري عام ١٩٥٨ بقيادة العميد الركن عبد الكريم قاسم، والعميد عبد السلام محمد عارف الذي تلى نظام الملكية في العراق لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل النظم السياسية التي مر فيها العراق، وهي نظام الجمهورية الذي شاركت فيه الأحزاب السياسية الاشتراكية، القومية، اليسارية حيث بدأ العراق يسلك تحاه لتأميم ثرواته الإستراتيجية وفي مقدمتها النفط، وتوزيع الموارد على العراقيين، ونشر التعليم، وتوجيه شروعات التنمية الاقتصادية للنهوض بالمجتمع للتحرر من عبودية العوز، والاهتمام بالوعي السياسي لدى الجماهير الشعبية الواسعة التي كانت محرومة من المساهمة الفعلية في النشاطات السياسية، وبذلك رفع مستوى الوعي بحقوقها وواجباتها الوطنية، والانخراط في نشاطات الأحزاب السياسية. إطلاق حرية تعبير الفكري، والعمل النقابي، السياسي، الثقافي ٤. إن طبيعة النظام الملكي بعد الملك فيصل الأول عثرت نحو الاسوء خصوصا الأعوام الثمانية التي تلت وفاته أصبح الوضع المجتمعي العراقي غير

١- عبد الرزاق الحسيني- تاريخ الوزارات العراقية- ص ٣٤٠.

٢- محمد احمد النابلسي-الحرب النفسية في العراق- الأسبوع العربي-سنة ٢-١-٢٠٠٣م.

٣- محمد الحمداني م.س.د- الفصل ٩-ص ١٦.

٤- عبد الخالق حسين- منجزات ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨- موقع عبد الخالق حسين.

قادر على مواجهة التحديات الداخلية المشحونة بين القيادات السياسية الحزبية، والعسكرية^١. استبشر مجتمع العراق بثورة تموز للخلاص من الأوضاع التي كانت سائدة لكن رغم ما جاءت فيه الثورة من روح التجديد، والحدثة من سن للقوانين التي تحمل في ثناياها بذور التقدم مع عدم حصر الثورة والأراضي بيد طبقة اجتماعية معينة بل وزعت الأراضي على الفلاحين وفق قانون الإصلاح الزراعي كذلك إخراج البلاد من المعاهدات غير المتكافئة، والتحرر من دائرة التبعية الاستعمارية، وإطلاق بعض الحريات الأساسية أيضا تشريع قانون جديد للأحوال الشخصية، وغيرها من القوانين، إلا أنها عكست المجتمع حيث باتت السلطة كاملة بيد العسكر مما ساد العنف السياسي، والعسكري، وإقصاء القيادات المدنية ثم إبعادها عن المشاركة في القضايا العامة لشؤون الدولة والمجتمع. وجدت الثورة نفسها تتحارب بين طموح رجالها الشخصية وبين الالتفاف عليها من قبل مناوئها. جاءت معالجات الأمور السيئة من خلال القمع باستخدام القوة، والبطش ضد المتمردين، والمعارضين من رجال الثورة دفعت بالقيادات العسكرية للتأمر ضد بعضها البعض وصلت أحيانا إلى محاولة اغتيال قائد الثورة ذاته وتصفتت بتقييم الفترتين الملكية، الجمهورية، وما آلت إليه الأوضاع السياسية في العراق، وانعكاسها على المجتمع يمكن نقاشه من خلال بعض آراء ذوي الاختصاص في كلية العلوم السياسية- الجامعة المستنصرية أجرت صحيفة الصباح(*) يرى البعض (إن ثورة ٤ تموز ١٩٥٨م كانت انقلابا أطاح بنظام سياسي كان قائما على أساس انتخابي كمنطلق لبناء نظام سياسي ملكي دستوري تضمن فيه الحريات الأساسية للمواطنين في عين الوقت تسيير عملية الأعمار وفق الخطط التي وضعها مجلس الأعمار لتنمية العراق ينتقل العراق بموجبها إلى مرحلة جديدة تؤهله لأن يكون في مصاف الدول المتقدمة)٢. القول بتمتص النظام السياسي الملكي فيها نظر لأن الملك له السلطة، والصلاحيات في إقالة، أو حل المجلس عن الانتخابات كانت على مرحلتين الأولى اختيار أعضاء ثانويين، والمرحلة الثانية قيام هؤلاء الأعضاء بانتخاب من يريدونه، وهي عملية التفاف على ديمقراطية ونزاهة الانتخابات وضعتها بريطانيا لضمان وصول الموالين لها. إما كونها انقلابا ففيه بعض البس لأن الانقلاب تغيير شخصية السلطة أو التمسك مع ثبوت شبه مطلق للأوضاع السائدة لكن ما حصل هو إن التغيير كان شموليا بدأ بعصبة

1 - د. عبد الخالق حسين- هل كانت ثورة ٤ تموز حتمية؟- محور دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث- الحوار لمتنوع ٢٧٠٧-٢٧٠٩/٧/٢٠٠٩م.
 (*) لقاء مع د. عزيز جبر شلال أجرت صحيفة الصباح في ١٠/٧/٢٠٠٩م.
 2 طه حسين- ٤ تموز ثورة لتغيير النظام الملكي أم انقلاب على نظام سياسي مستقر؟- أفق إستراتيجية- صحيفة الصباح العراقية ٢٠٠٩-٧م.

وانتهاء بالقوانين التي تنظم العلاقات المجتمعية. ومنهم من يرى بوجود استدرار عوامل قيام ثورة ١٤ تموز في العراق، وفهم مسألتين تتعلق الأولى بمقوماتها، والثانية تتعلق بوعي، وفهم العوامل التي أتت إلى قيامها، وإرجاعها إلى مطلع القرن العشرين لا شك إن ذلك الإدراك لن يتكامل ما لم نضع المؤشرات الواضحة مع الخرائط الجغرافية، التاريخية، الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية للبلاد في تلك المرحلة ثم معالجة تلك المؤشرات باستخدام وسائل فكرية، وأساليب علمية لبيان كيفية وقوع مثل هذا الحدث التاريخي الكبير الذي قضى على النظام الملكي، وأعلن ولادة النظام الجمهوري في العراق (*). إن مشروعية وشرعيته الثورة انطلقت من حق المجتمع في المقاومة كي يغير النظام السياسي لطغيانه، وعدم احترامه لإرادته بذلك تكون الشرعية واجب ضرورة لان إرادة المجتمع فوق قوانين الوضعية هو الذي يخلقها، ويقرها. إما بخصوص مشروعيتها هي كونها نقطة تحول في الحياة الاجتماعية للإطاحة بنظام أقل ما فيه ارتباطه بمعاهدات استعمارية مستغلة لثروات البلاد، ولا توجد فيه نية صادقة للحدثة والتطور المجتمعي.

حققت الثورة (*) الاستقلال السياسي للعراق، وحافظت على كيانه وسيادته الوطنية الكاملة وإلغاء جميع المعاهدات الاستعمارية الجائرة المخلة بالسيادة الوطنية المرة الأولى في تاريخ العراق تم التأكيد على الوحدة الوطنية، وحقوق القوميات بالمشاركة الفعلية في إدارة الدولة التي كفلها الدستور الوقت ضمن (المادة الثالثة) لسنة ١١٩٥٨/٧/٢٨. هنالك أسباب عده عرقلت مسيرة الثورة خارجية منها الطوق الإقليمي إضافة للتأمر العربي الذي ما انفك يسعى لإسقاطها مع تخريب منجزاتها بتأليب الأحزاب في العراق لتمزيق لحمته الوطنية، وتدمير نسيجه المجتمعي المتنوع كما هو ديدنها اليوم، وقد حثت لاحقا في زرع بذرة الشقاق، والتجزئة إلى حد ما في إيجاد أفكار ذات اتجاهات تستبعد عمدا عراف من النسيج المجتمعي لتغيير ملامح هويته التعددية الملزمه له منذ نشأته، وتغريب شرائحه عن أنماط الارتباط بوطنيته. لا شك إن ذلك أدى إلى إفشال أية محاولة جادة لتشكيل أو إقامة مشروع يطي لبناء دولته العصرية الطموحة والمنفتحة على العالمين العربي، والإسلامي. هناك أسباب حالت عن ذلك منها عدم وعي قادة الثورة أو استغلالهم حقيقة كون العراق جزء من الأمة العربية أولا، والأمة

* لقاء مع د. عبد الأمير محسن جبار الأسدي أجرته صحيفة الصباح في ٢٠٠٩/٧/٢٠ م.

(ثورة) لا تعني المقاومة النومية أو الانتفاضات الفوضوية ضد الدولة أو الحكام الأجانب، بل التغييرات الجذرية التي تحدث في البنية والمجتمع والعقلية السائدة. إن التمرد والحروب هي مقدمات الثورة وكذلك عواقب الثورة، أما الثورة الحقيقية فهي المتغيرات الحية التي تنقل الوطن بأكمله من عصر إلى آخر أكثر تطورا اقتصاديا ونضوجا فكريا وعقلانيا للدولة والمجتمع.

الاستور العراقي المؤقت لجمهورية العراق الصادر في جريدة الوقائع - بغداد يوم ٢٧/٧/١٩٥٨

الإسلامية ثانياً حيث لا يمكن تعطيل، أو حذف دوره التاريخي، الإسلامي فهو يدخل في صميم التركيب العربي، والإسلامي بكل مكوناته، ومقوماته. سواء أكان على مستوى تلاحمه مع استقلال مجتمعات هذا التركيب أم على صعيد تطورها، ورفيها حتى إنسانيتها. بل إنه جزء أساسي من مستقبلها واستقرارها ووحديتها. مجتمع العراق له باع طويل في عملية التواصل، والانسجام مع هذين العالمين فهي حقيقة أهملت التعامل مع هذين المتغيرين بدليل إن مشروع الوحدة أو الاتحاد التي دعت إليه الجمهورية العربية المصرية لم يكن ضمن أهداف الثورة إلا في حالة تعرض العراق لخطر هجوم خارجي وفق ما نص عليه ميثاق جامعة الدول العربية. فشلت الثورة أيضاً في تأسيس نظام ديمقراطي بسبب استمرار الحكم العسكري لشخصه الزعيم، أو القائد الأوحده أفضى إلى عدم التأسيس لمبادئ ديمقراطية حقيقية لإجراء انتخابات تقوم على أسس العدالة، والمساواة بين أبناء المجتمع. كذلك فشل النظام السياسي للثورة في حل بعض قضايا الأقليات حلاً وطنياً عادلاً. إن النظام السياسي الجمهوري الذي ابتدأ بحكم عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨م الذي أطاح بالنظام الملكي من ثم سقوط نظام قاسم من قبل عبد السلام عارف عام ١٩٦٣م، وبعده جاء أخيه عبد الرحمن عارف وصولاً إلى أحمد حسن البكر عام ١٩٦٨م، وصعد حسين، ولحد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠١م شكلت مراحل من الانحطاط الفكري، والاضطراب السياسي، والحرمان من التمتع بالحقوق ويعد الاحتلال المتغير الأكثر تأثيراً في تمزيق وحدة المجتمع حيث أمست الطائفية والاستبداد مع الابتعاد عن القيم هي السمات الأساسية للعمل السياسي إضافة لما ورثه المجتمع من النظم السابقة ذات الطابع العسكري الذي كان سائداً حيث لا ترى أي مظهر للحياة المدنية، وحباً لممارسة النشاط الحزبي التعددي الذي انعدمت معه الحياة النيابية. أضاف الاحتلال متغيرات جديدة لم يألفها مجتمع العراق بصيغتها الواسعة المبرمجة من عمليات اعتقال عشوائية وتهجير منظم مع التصفية الجسدية أضحى شعب العراق مع هذه الحالات يعيش نوعاً من الاعتداء المزدوج زيادة على انتشار الأمراض الجسدية، والنفسية ١.

خلاصة القول إن تاريخ دولة العراق، ونظمها السياسية المتعاقبة كانت تقيم الدولة على قوتها العسكرية بغض النظر عن تحضرها، وتمدنها فهي فاقده لتنظيم العلاقة بين المجتمع، والدولة أكدت على بناء هيكلية الدولة ولأدامت مؤسستها العسكرية التي لم تصمد إمام المحتل فترة لا تصمد من الزمن - أكثر من تركيزها على بناء المجتمع الأمر الذي أدى إلى تضخم جهاز الدولة

١، وجعلت العراق لا يسير وفق سياسة اقتصادية واضحة المعالم تسوده البطالة المقنعة مع تضخم حاد الإداري الذي أثقل كاهل الدولة، وعجز في ميزان المدفوعات لكثرت مديونيتها لدول العالم التي سعى المجتمع بتسديدها .

المصدر الثاني:- الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م و أمريكا مجتمعه

Axis II ; -The U. occupation of Iraq in 2003 and Americanization of society

الأمركة، (بالإنجليزية أمريكا نيزيشن Americanization) ٢ مصطلح غير معرف في معاجم اللغة السياسية العربية منها، والغربية، رغم شيوع استخدامه منذ الربع الأول من القرن العشرين إذ صدر كتاب (أمركة العالم) للكاتب برينون وليم (Brinon William) عام ١٩٠١ عرض بعد مئة عام إي منذ سنة القرن التاسع عشر تبلور الفكر الغربي، ونظرتة للعالم انطلاقاً من حقيقة الكون، والمادة، وما تتحكم به من قوانين حركية، ومادية، وعدمية الاستسلام لما يكون خارج نطاق تحكم تلكم القوانين. الدالة مصطلح الأمركة وفق حقيقة الكون وكثيراً ما يتداخل مع مفهوم العلمانية الشمولي ليس فقط فصل الدين عن الدولة بل يشمل تجاوز القيم، والثوابت باعتبارها رموز روحانية غير مرتبطة بدينامكية المجتمع وقوانينها الحركية.

البعض يرى إن الأمركة هي العولمة لكن العولمة تختلف عنها لأن مجال اختصاصها هو الاقتصاد، والسياسات، والمعلوماتية كالتقنيات الاقتصادية، النظريات السياسية، وغيرها ٣. هذا ما لا يصح منه مفهوم الأمركة.

"العولمة" عالم متجرد من كل القيم الدينية المتعددة، والعادات، والتقاليد، واللغات المختلفة المتفاوتة بين سكان الأرض وهي تختلف عن مفهوم العالمية التي مجالها القيم، الحريات، الثقافات ٤ .
الأمركة هي قيم تتحكم فيها العولمة التجارية... فالشركات العابرة للقارات هي التي تحدد ثقافة اليوم، والامركة هي احتلال العالم وغزوه ثقافياً وايدلوجياً، والسعي دوماً لتحقيق هذا الهدف بالسيطرة ثم الانخراط مع الإخضاع وصولاً إلى تصميم نموذج للثقافة الأمريكية التي تنوء تحت ضغطها اغلب دول العالم الحالي. مع امتلاك القوى العظمى لديها فقد تزايد الشعور الأمريكي بالقدرة على تحقيق أهدافها بكل

د. حسيني الشيرازي، م.س.ذ.ص ٢١

Golden AI-Wafi Translator-Version 1.12-By-ATA-Software-Technology-Ltd-t-2002

د. عابد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - لسنة - ١٩٩٧ م - ص ١٣٥ -

د. الحياوي - العولمة ورهانات الإعلام - كتاب سلسلة شراع - عدد ٢٣ - لسنة - ١٩٩٨ م - ص ١٢ .

والعالم رغم إعلان كبير مفتشي الأسلحة في العراق- هانز بليكس- تقريراً بأن العراق كان متعاوناً لحد كبير مع المفتشين، وهم بحاجة إلى مزيد من الوقت للتأكد من إثبات النوايا الحسنة للعراق لكن السفير البريطاني في الأمم المتحدة أعلن بأن السبل الدبلوماسية مع العراق قد استنفذت، وتم إجلاء مفتشي الأمم المتحدة من العراق، ومنح رئيس دولة العراق مهلة ٤٨ ساعة لمغادرة البلاد أو مواجهة الحزب ١، وسلمت(*) أعين العالم بذرائع أمريكية مفادها إن النظام في العراق لم يساهم بشكل فعال في إزالة ما يملك من أسلحة دمار شامل، وبعد هجوم كاسح من جنوب البلاد استمر بضعة أسابيع تم احتلال العاصمة بغداد بحرب قذرة لم تراعى فيها حرمانت استخدمت فيها كل أنواع الأسلحة المحرمة دولياً طالت سكان المدن، والقرى الآمنة البعيدة عن العمليات العسكرية . صحيح إن سيناريو إحداه ١١ أيلول(**) المفنعل هز سياسة أمريكا ظاهرياً لكنه أعطى الحجة لإعلان الحرب ضد ما أسمته بالإرهاب حيث خيم هاجس الخوف أغلب مناطق العالم تحسباً من التمدد الأمريكي لتصفية الحسابات بذريعة ما أسمته بالحرب ضد الإرهاب أصبحت الحياة لا تطاق بدأ بإحداث ما ابتدعته أمريكا وجعلته قانون يسمح لها بالذهاب، والإياب لدول العالم حيثما نشاء أي وقت يحلو لها وفق ما تقتضيه مصالحها التي لا تنتهي، ولن تنتهي لاستعباد البلاد، والعباد، بحسب المقولة العربية التي تقول/ من امن العقاب ساء الأدب/ . أمريكا أمنت العقاب وأوغلت بإساعتها التي جلبت الولايات ، والنكبات لشعوب العالم خصوصاً شعوب المناطق الاقتصادية ذات المطمع الأمريكي. بدأت بوادر التهيؤ لضرب المناطق المرشحة مسبقاً ضمن مخططها الاستراتيجي في الشرق الأوسطي حيث الغنى والثروة، ونظم سياسية متباينة ذات طابع راديكالي شمولي غير قادرة على الوقوف في وجه المد البربري الأمريكي الذي احتل أفغانستان بذريعة تنظيم القاعدة ومجاميع طالبان المتمركزون في أفغانستان ثم بعد ذلك استكمل المخطط باحتلال العراق .

١ شخى الجابري -محات من الواقع العراقي-الحوار المتممن- العدد-٢٤٢٦-٦-١٠-٢٠٠٨م

(*) سمل العيون استخدمه التتار،والترك عند احتلالهم للبلدان العربية،وهي عملية فقا العيون بتقريب السكين أو السيف المحمي بالنار لم عيون الخصم مما يؤدي إلى فقدانه البصر،وكانت تستخدم ضد الخلفاء لإزاحتهم عن الخلافة والإيتاء بغيره من الموالين لهم ،حيث يجوز إن يكون الخليفة ضير حسب الشريعة الإسلامية.

(**)أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ هي مجموعة من الأحداث التي شهدها الولايات المتحدة في يوم الثلاثاء الموافق ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م. تم تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدني تجارية وتوجيهها لتصطدم بأهداف محددة نجحت في ذلك ثلاث منها. الأهداف كانت في برجي مركز التجارة الدولية بمنهاتن ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البننتاجون).سقط نتيجة لهذه الأحداث ٢٩٧٣ ضحية ٢٤ عقوداً، بالإضافة لآلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق والأبخرة السامة (وللمزيد انظر: من يقف وراء حدث ١١ سبتمبر؟ ومن المنبر الحقيقي لها؟ شبكة الصحافة غير المنحازة . Voltaire.net.org)

بدا تنفيذ مخطط احتلال العراق بعد ما جاء تقرير توني بلير رئيس الوزراء البريطاني عن قدرات العراق العسكرية. في نوفمبر/ تشرين ثاني ٢٠٠٢ موافقا لما طلبه الرئيس الأمريكي جورج بوش من قادة العالم المجتمعين خلال جلسة للجمعية العامة للأمم المتحدة في الشهر نفسه أن يواجهوا الخطر الجسيم والمتراكم للعراق، وضرورة ضرب بغداد واحتلالها. في الأيام التالية لدخول القوات العراقية عاصمة العراق سيطر المقاتلون الأكراد، والقوات الأمريكية على مدينتي كركوك، ومحافظة نينوى الشماليين، ووقعت أعمال نهب واسعة في بغداد، وغيرها من المدن حيث دمرت كل مؤسسات الحياة العراقية عدا وزارة النفط بمؤسساتها لأنها تشكل العصب الرئيس لاقتصاد العراق، وهي من أولويات الأهداف الأمريكية. الغزو العسكري للعراق اضعف إمكاناته الاقتصادية مع تدهور الوضع الأمني التي عم مختلف أوجه الحياة كانت مثيرة للفرح تتطوي على خراب عارم لمؤسسات الدولة الخدمية والخدمية إضافة للتلوث البيئي الذي خلفه اليورانيوم المنضب الذي استخدمته القوات المحتلة في عموم مدن العراق أدى إلى ظهور إشعاعات نووية كانت عواقبها وخيمة على الصحة العامة كما بينته تقارير الأمم المتحدة ٢ الواقع السياسي للعراق بعد ٩/ ٤/ ٢٠٠٣ م، والقوى الفاعلة فيه مجاميع من عناصر عدا عليها طابع الفوضوية، والجرم المشهود ممن كانوا في السجون بإحكام جرمية أطلقهم المحتل ليصير جزءا من اللعبة السياسية بعد أن أصبح العراق ساحة لصدمات و تصفيات سياسية، و بلدا يعاني من فراغ سياسي حقيقي لذا بات الوضع الاجتماعي هشاً تسوده الفوضى، وارتفاع مستوى الجريمة على أشكالها.

أصبح البلد يعاني من تخلف اقتصادي شديد ظل وضع العراق في هذه الفترة مستقرا بتناقضات متباينة في الرؤى السياسية لمستقبله حول إشكالية ما تبقى من هيكلية الدولة ضمن محيطه الترميمي بسيط استعدادا للبدء في بناء نظام سياسي للدولة حيث طرحت عدت بدائل لاختياره بعينه لكن كيف يكون النظام هل يكون نظام فدرالي؟ أم مركزي؟ من الممكن للمرء الاستغناء عن هيكلية القومية بالطرائق القديمة لاكتسابها داخل المجتمع، أو حتى يكون بدون عائلة، ولا مسكن ديني انتماء ديني يمكنه إن يعيش حياته بشكل تام حتى بفقدانه القومية، الدين، الأهل... لكن بدون هيكلية يستطيع لأنه مهدد بأمنه وحقوقه كإنسان ويكون مغتربا عن أي أرض إلا ضمن دولته، و...

١ حسن حسين كاظم - باتوراما الامريكوراطية وتفتيت العراق - مجلة الأستاذ - العدد - ٧٠ - لسنة - ٢٠٠٨ م - ص ٨٣٣

2 ((Depleted Uranium Radioactive Contamination Iraq ;An Overview, Azzwi, 2

السياسي ١. بغض النظر عن ماهية نظام دولته السياسي فالنظام ضرورة لإدارة المجتمع، والدولة. النظام الفدرالي يقوم على أساس المبادئ الديمقراطية وتوزيع الصلاحيات بين الأقاليم أو الجمهوريات المؤلفة لها وفق دستور فدرالي متفق عليه.

إما الحكم المركزي هو نقيض الفدرالية حيث مركز السلطة يستأثر بكافة الصلاحيات في إدارة الدولة. إن مشكلة بناء دولة العراق لا تكمن في فلسفة اختيار النظام الأصح فقط منذ تأسيسها عام ١٩٢١م، ولوقتنا الحالي. حيث كانت الحكومات المتعاقبة تهتم بتشبيد الدولة ناهيك عن مقدار مدنياتها في تفنن للعلاقة بينها، وبين ومؤسساتها الإدارية أكثر من تأكيدها على بنوية المجتمع، وإن فئات اجتماعية بذاتها هي صاحبة النفوذ. بما أن النظام الفدرالي يقوم على أساس اتحادي بين أقاليم، أو صهوريات متعددة يحق لكل منها الانفصال عن الدولة الفدرالية، وإعلان استقلالها بشرط مراعاة قواعد مبادئ الديمقراطية، وهذا هو المطلب الأمريكي المراد تطبيقه في العراق ٣. إن الانحطاط السياسي العراقي من جانب، وإدامة الهيمنة الاستعمارية لفترة طويلة من جانب آخر هي دوافع تؤدي غالباً إلى تحجج الانفصالية، والتشردن حيث إن الدعوة للفيدرالية في مثل هكذا ديمقراطية هي دعوة لتجزئة مهذبة دعها أمريكا في العراق قبل إحداث ١١ ايلول في شمال العراق لتفتيت المجتمع الواحد ضمن حكومات حية متناحرة.

إن فكرة الفيدرالية من الناحية التاريخية جاءت كفكرة لحل الأزمات ٤، وصيغة عملية معقولة محاولة جادة لاختيار بديل توافقي لترميم الخلل الذي تعاني منه الدولة بسبب وجود خلافات لية، أثنية، نتيجة للتركيبية السكانية للدولة التي نشأت نتيجة لاستلاب أراض الغير، وضمها لولة، وبالتالي أصبحت تشكل عائق للدولة، أو بسبب عفوية التكوين المجتمعي البدائي لصيرورة لية، وربما الفدرالية كحل لتخفيف حدة التوقع، والانغلاق القومي، والسياسي الذي تتعرض له الدولة لة هو الحال في نماذج كلا من سويسرا، كندا، روسيا، ألمانيا ذات التباين الكبير. نجحت الفدرالية في سيرا، وعدم ثباتها في روسيا، وكندا لارتباطها بخصوصية المكون القومي، التاريخي، الجغرافي.

جوزيف -الأصول الوسيطة للدولة الحديثة -الكويت دار التنوير- ١٩٨٢م -ص ١٨.

سد سلوم - بناء الدولة المنبئة في العراق - صورة عن الواقع والتحديات -الحوار المتمدن- العدد- ٢١٨٨- في- ١١-٣-

است شريف وانلي - آراء وأمثلة حول تطبيق الفدرالية في العراق - مطبعة المشرق- نوزان - سويسرا- في ٩ حزيران

ص ٥٤.

الجبلي - الفدرالية في العراق - خطوة إلى الوراء- موسوعة تركمان العراق

فالقوميات في روسيا أصيلة المنشأ، وتاريخ نظامها السياسي الموحد يشير لذلك ناهيك عن بعض التمرد، والعصيان الذي لا يرتقي لمستوى الانفصال فهي حالات تتشا عند ضعف مركز السلطة والشيء نفسه يمكن قوله عن كندا ١.

إن حقيقة الفيدرالية المزمع تطبيقها في العراق ضمن ظروفها الحالية يجب أن تؤكد على تعميق، وترسيخ فكرة المواطنة في التعامل مع الأحداث بما يخدم مجتمع العراق. أن العراق لم يعاني في يوم من الأيام نقص في موارده أو قلة ثرواته الطبيعية الأمر الذي قد يؤدي إلى التزاحم، والاضطراب مثلما هو في بعض الدول، ولكن العلة كامنة في طبيعة أنظم السياسية الحاكمة التي تعسفت في سوء نفوذها وشموليتها في السيطرة على المجتمع، وثرواته بعيداً عن القيم، ومبادئ العدالة الاجتماعية خلاصة القول إن الفيدرالية تتطلب وجود ولايات، أو دول تمثلها بموجب دستور عام، وتتمتع هذه الولايات أو الدول بصلاحيات، واسعة في الحكم الداخلي المحلي فقط، ويقوم جهاز فدرالي مركزي بتمثيل السلطة الشاملة على هذه الولايات من الناحية السياسية، الاقتصادية، العسكرية يقوم بعقد الاتفاقيات، المعاهدات، والتمثيل الخارجي، الدفاع، وغير ذلك من الشؤون الدولية، والخارجية. الفدرالية في العراق تختلف كلياً عن هذا النمط فواقع الحال يشير إلى انفصال تدريجي بدليل اتفاقيات النفط والغاز الخارجي، والأراضي المتنازع عليها وغيرها من الأمور التي عقدتها حكومة الإقليم مع العالم مركزية دولة العراق أو ما يسمى بعدم الرجوع لمركز السلطة الفدرالية من الطريف إن أبناء بعض المحافظات لا يستطيعون إن يمتلكوا أو يشتري دار في إقليم كردستان حتى المزارع طوقسه الخاصة واليات المعقدة ماذا يفسر؟

المحور الثالث:- الأسس العلمية والعملية لتأسيس مشروع بناء الدولة المدنية

the scientific basis and practical to establish a project to build a civil state.

أضحى العراق بعد الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣ ميلادية دولة لا تمتلك، أي من مقومات الدولة التي باستطاعتها فرض سلطانها على ترابها الوطني، وضعف مركز السلطة -النظام السياسي- واقتناره للمهارات القيادية في إدارة شؤون البلاد. الاحتلال أدى إلى انهيار دولة العراق الحديثة وثقافة جديدة روح لها هي الأمركة المبنية على القهر وكم الأفواه، والتهميو لإغراق البلاد في الديمقراطية على الطرائق الأمريكية. بعد ما انتهت صفحة الانتقاض على الوطن بدأت بمبدأ الديمقراطية وعدم الحرص على وحدة الوطن، وقتل روح المواطنة بين أبناء المجتمع.

1 كاظم حبيب - مرة أخرى حول الواقع العراقي والسياسة الاقتصادية الراهنة في العراق - الحوار المتمدن - العدد: ٣٠١١ - ٢٠١٠

والسؤال الذي نجده ضروريا هنا هو ما هي القوى السياسية الفاعلة، والمعتمدة لبناء دولة وطنية تستطيع ان تحقق ما يصبوا إليه كل مواطن في هذا البلد؟ ومن خلال هذا السؤال يمكن القول بان المتغيرات المعتمدة لتحقيق هذا الطموح وفق القوى الحالية لا يمكنها ان تحقق بناء دولة مبنية على النزعات العشائرية، والقبلية، والعرقية، والدينية التي أوصلتها إلى سدة الحكم، وهي غالبا ما تكون إصلاحية أو توافقية لا تترقي إلى واقع متطور مستقر . الساحة السياسية العراقية أصبحت وفق ما سبق ونكر هشة مقترنة بتوزيع القوى ضمن ظروف الاحتلال ،وتداعياته لا تزال مهلهلة التشكيل خاوية منذ انتهاء مرحلة النظام السياسي السابق على يد القوات الأمريكية من الممكن تقصي خارطة طريق العملية السياسية بأولويتها ضمن قواعد اللعبة السياسية المؤسس لها، والمسيطر عليها عبر قنوات الاحتلال الماسك لمقاليد، ومقدرات العراق ١. إن ابرز المشاكل المزمرة التي حالت دون البدء ببناء دولة العراق المدنية تتمحور حول فساد النظم السياسية مع الاستئثار بالسلطة ثم الاستحواذ على مفاصل الحياة الاجتماعية، والاقتصادية من قبل فئة معينة قد أضاف الاحتلال مشكلة جديدة ربما كانت كامنة إلا ،وهي قسمة الطائفية المقيتة التي عفا عليها الزمن أصبحت ورقة غير رابحة ،ولا مقبولة إلا من قبل ضعاف النفوس، والوصوليون من جهة السياسة(*) المنفعين من استمرار الاحتلال. عوده للسؤال الذي طرح حول إمكانية بناء الدولة المدنية الحديثة المقصود بمصطلح الدولة المدنية الحديثة هو نقيض لمفهوم الدولة المستبدة الشمولية التي تكون بكل الأحوال دولة تحكم بقوة السلاح ،الأمن، الجيش حتى إن مؤسساتها ،وأجهزتها المدنية على الأرجح قمعية قاهرة للشعب، وللمعارضة السياسية، ويعد العراق من أكثر الدول في العالم ممارستا للحكم الشمولي، وقد تعرض شعبه إلى أنواع مختلفة من الظلم، الاضطهاد، السجن ،التعذيب، القتل الفردي ،الجماعي. ومما سبق نعتقد بان الأسس التي يجب اتبناها في بناء الدولة المدنية هي:

(١) - إزالة الفواصل أو الفجوات بين المجتمع، والدولة إي تكون هنالك عملية تكامل تلاحمي بين المجتمع المدني ،والدولة بعبارة أدق يكون المجتمع المدني مترابطا مع الدولة. من الواضح استحالة

حسن حسين كاظم -العراق ومواقف التحول الديمقراطي-مجلة الأستاذ-عدد-٨٢-٢٠٠٩م-ص ٣٢١

استنقت كلمة سياسية من اليونانية من كلمة بولس وتعني الدولة المدنية ويقصد فيها "القلعة في قلب المدينة" و ترمز للمدينة التي تضواحي الذين يشاركون في تلك المدينة وأعمالها ، و السياسة هي جزء من محاولة الإنسان المستمرة لفهم نفسه ومحيطه ، وعلاقته مع الآخرين الذين يتعامل معهم . و السياسية هي دراسة الدولة ومؤسساتها و أجهزتها و المهام التي تقوم فيها هذه المؤسسات و الأجهزة و الغايات التي أنشئت من أجلها ، و السياسة هي البحث عن العدالة و هي مفهوم القوة و النفوذ و السلطة .. (نشاط الدولة). تعاريف ومصطلحات سياسية هامة،الأكاديمية العربية في النمنارك-قسم الدراسات والبحوث.

بناء مجتمع مدني بمعزل عن الدولة، أو من خلالها، فلا مضمون للمجتمع المدني بدون حضور الدولة غيابها إنما يعني غيابه وتلاشيها ما ينطبق على المجتمع ينسحب على الدولة، فلا دولة بدون مجتمع تستمد منه سلطتها. لا بد إن تبنى العلاقة على أسس جدلية متكافئة في كل الأطر، والمطبخ الذي وقعت فيه النظم السياسية السابقة في العراق هو عدم التأكيد على بناء المواطنة، والحرية الفردية، ومشاركة المجتمع في رسم سياسة الدولة إنما قامت على فرض رؤى، وقيم ذات أيديولوجيات تتعارض مع المبادئ المجتمعية الخاصة والعامة مما أدى إلى تناقضات اجتماعية متشعبة داخل مجتمع العراق ذات صفة شبه دائمة مزقت لحمته الوطنية. إذا ما أردنا إن نؤسس لدولة حديثة في العراق علينا إن نأخذ برفض الممارسات والمفاهيم الخاطئة التي أتقلتنا فيها أنظمة الحكم السابقة، والتي غيبت أهم الأسس المعتمدة في بناء الدولة، وترسيخ مفهوم المجتمع المدني وحقوق الإنسان ومبادئ الديمقراطية التي تتحقق من خلال انتخابات ديمقراطية يكون المجتمع فيها حكم الفصل و المصدر الشرعي لكل السلطة، ومن الضروري اعتماد مبدأ الفصل بين السلطات التنفيذية، والتشريعية، والقضائية^٢، حتى لا يسيطر شخص أو فئة على مجمل النظام وتتعدم الرقابة من قبل السلطات الأخرى. الدولة كيان يتكون من مجموعة من الأجهزة الإدارية أو الوزارات تمارس وظائف ذات طابع مدني أو سياسي أو كليهما، السلطة التشريعية بسن القوانين، وتعمل السلطة التنفيذية على تطبيقها حسب اللوائح القانونية بينما تعمل السلطة القضائية تطبيقاتها وتحافظ عليها من الخرق والتجاوز ومحاسبة المتمردين، والخارجين عن إطار السلطة التشريعية تقترح وتشرع القوانين حسب ما يحتاجه المجتمع نظرياً لإتاحة فرص تمتع المواطن بحقوقهم وحررياتهم وفق القانون دون حيف أو تمايز. أما السلطة التنفيذية فهي تهيئ الأرضية لنشوء تلك الفرص، وإن السلطة القضائية هي الحصن المانع لحماية الحريات والحقوق والرقابة على أداءها، ومن مهام ومسؤوليات السلطة التنفيذية توفير الأمن الداخلي للبلاد من خلال وزارة الداخلية وممارسة الوظائف الدبلوماسية الخارجية مع العالم^٣ لأنه من المعروف إن للدولة مهام متشعبة تتصل بسلامة عن كيانها واستقلالها وحماية سيادتها وتحقيق الأمن والاستقرار لمواطنيها.

(ثانياً) :- إشاعة ثقافة الحوار البناء بعيداً عن المهادنات الطائفية أو المذهبية أو القومية على حساب الولاء للوطن، والمواطنة التي تشكل خطورة كبيرة يحمل أوزارها المواطن البسيط. من الضروري

1 سعد سلوم- بناء الدولة المدنية في العراق - صورة عن الواقع والتحديات - الحوار المتمدن - العدد - ٢١١٨ - ١١ - ٢٠١٠ - ٢ - ٢٠١٠

2 ميعاد الطائي- كيف يمكن بناء الدولة الحديثة - صحيفة المدى - العدد ١٩٦١ - ١١ - ٢٠١٠ - ٢٠١٠ م.

3 يعقوب يوسف جبر الرفاعي- بناء الدولة الصالحة - أخبار الديمقراطية - واشنطن - منشورات معهد الإمام الشافعي - ٢٠١٠ م.

مجتمع في حياة سياسية جديدة متمثلة بحرية الرأي والتعبير والنشر وحرية المعتقد، وممارسة الطقوس
 لتيبة بلا مساس لطرف أو أطراف أخرى ضمن المتعارف، وممارسة التعددية الحزبية وحرية الصحافة
 حق إعلام حر ونزيه يأخذ دوره في تبني المفاهيم الجديدة والعمل على إيصالها إلى المجتمع لكونه
 ام وسيلة لنقل المعلومة من المجتمع للسلطة والعكس صحيح، والتي تجعل المواطن يتفاعل مع الحدث
 يعيش معه، والاجتهاد في التداول السلمي للسلطة وفق المفاهيم الديمقراطية التي لا تتجاوز القيم
 الحزبية، وتراعي الثوابت الاجتماعية المشتركة بين أبناء العراق. بهذا يمكن القول بأن الدولة المدنية
 هي التي تقوم على أسس النظام الديمقراطي ذي الأصول النابعة من الواقع المجتمعي للعراق،
 الحدة التعددية والتداول السلمي للسلطة وغيرها، فتصبح الدولة المدنية ذات طابع ديمقراطي مصدر
 المجتمع في مقابل شمولية الاستبداد صاحبة الاستناد العسكري التسلطي، وهذا معنى مقبول يجسد
 المواطنة، وتصبح الدولة المدنية بهذا المعنى، ليست معيارًا تقاس عليه مدينتها، بل هي جوهر
 المشروع الحضاري لبناء الدولة والمجتمع معاً، وفي اكتساب الحقوق على أساس المواطنة، وعدم
 تحزب لفكرت المذهب، الطائفة، الثقافة، العرق في كفالة حقوق الإنسان، والحريات الأساسية، واحترام
 الحية الحزبية، والتنوع. (ثالثاً): - تأهيل أفراد المجتمع ليكونوا منتجين فاعلين في العملية الإنتاجية في
 التنمية الشاملة حيث يشكلون عبا اقتصاديا مستهلكا يتقل كاهل اقتصاده الوطني، وان لا تكون
 أحادية الجانب كأن تعتمد مرفق اقتصادي واحد وإهمال باقي القطاعات مما يسبب تداعيات
 سلبية تنعكس على الدخل القومي تكون ذات مردودات سلبية.

على الناتج القومي ثم تنعكس مباشرة على دخل الأفراد ١ قد تفضي إلى ارتفاع الأسعار التي يتحمل
 أفراد المجتمع. إن الاقتصاد ذي التنمية الأحادية الجانب غير المتوازن عرضة للتقلبات الاقتصادية
 سلبية يأتى بحالاتي التضخم، و الانكماش أكثر من غيره، والتي يخشاها منظري الاقتصاد حيث تعد
 سبب المشاكل تسارعا لانهيار النظم الاقتصادية في العالم مما ينتج عنهما تردي الحالة المعيشي
 المجتمع الذي بدوره ينعكس على المستوى الصحي، الثقافي بالسلب حيث تعم ظاهرة الفقر
 على أداء الأفراد، وهذا التدني يتناقض مع قيم، وثقافة الدولة المدنية الحديثة التي يطمح إليها
 إن الفوضى التي يعاني منها اقتصاد العراق الحالي هي ليست وليدة سقوط النظام السابق فقط
 تاج سياسات اقتصادية خاطئة قامت عليها وسلكتها، ومارسها النظم السابقة منذ الستينات من

القرن الماضي، والفوضى الاقتصادية نتاج أكثر من نصف قرن مر على الاقتصاد العراقي ١. الخاتمة
التنمية الاقتصادية عملية تغيير سياسي، وإداري هادف شامل لكل جوانب الحياة في إي مض
للانتقال لوضع أفضل مع الاحذ بالحسبان الأبعاد الاجتماعية، والبيئية إضافة لنمو السكان خلال
من الزمن.

(رابعاً):-- ثقافة مشتركة تجب ما قبلها من ضغائن وأحقاد خلقتها سياسة التسلط الاستعماري الخارجي
العثماني_ الغربي، والداخلي المتمثل بأنظمة الحكم الشمولي المتعاقبة على حكم العراق منذ تأسيس
دولته الحديثة عام ١٩٢١ ميلادية ولحد الاحتلال الأمريكي ٢٠٠٣م وما بعده. يتبنى المشروع الوطني
الثقافي برامج علمية لعملية التنشئة الاجتماعية وبإشراف أعلى المستويات في ألدوله لصياغة المنهج
التربوية، والتعليمية بطرائق علمية تتجاوز تلك المناهج الوضعية المراد منها خلق ثقافات عصرية
مذهبية عرقية حتى الولاءات للمناطق، أو الرقع الجغرافية، وان تكون بذور الثقافة الوطنية في شخص
النشئ الجديد لتغيير الواقع المتردي الذي عانته أجيالنا السابقة من تغييب مفتعل لكل أنواع التنشئة
وطرائق التربية المجتمعية العصرية ألدنيته. إن الظاهرة الطائفية في العراق ليست مشكلة إيديولوجية
وإنما هي مشكلة سياسية في الأصل، وترعرعت في رحم الصراع بين الطبقة الحاكمة و مواليهم
أبناء المجتمع، وقد تم تغطية وجه الصراع الحقيقي بين المصالح بغطاء من النصوص والطقوس التي
ابتدعته النظم السياسية السالفة ٢.

إن أزمة النظم السياسية الحاكمة في العراق هي أزمة هيمنة فئة اجتماعية معينة
عوامل عدة خارجية وأخرى داخلية موضوعية، وذاتية ذات تداخل ارتباطي مؤثر كلا منها بالآخر
علاقة نشأة ضمن بنية اجتماعية اقتصادية استمرت لفترات زمنية أوجدت مثل هذه الأزمات مستمرة
إعاقه كل جهد لبناء دولة المؤسسات الديمقراطية الحديثة، دولة المواطن الحر وليس دولة
والزعيم والعشيرة، بل دولة مدنية عصرية متجاوزة لسلبيات الماضي.

في نهاية البحث أرجو أن يسامحني ذوي العقول النيرة على ما فأتني، إن اذكر معلومة
أشر إلى حدث، أو ظواهر هامة، ربما تجاوزت في الإطناب عن الموضوع أحياناً أو أخفقت في
اشتقاق المفهوم أو المصطلح أو زلل في الاستنتاج أو عدم دقة في الاقتباس، فلا نظن أن هذا
يولد كاملاً إنما الكمال لله سبحانه وتعالى وهو المستعان.

١. د. أحمد باهض تقي، الاقتصاد العراقي: مشاكل وحلول - شبكة النبا المغموماتية- حوار، إزمهر الحسيني، لبني الربيعي -

٢. حميد لفته- الظاهرة الطائفية وإشكالية بناء الدولة المدنية - مركز النور للإعلام- ٤-٥-٢٠١٠م.

الخاتمة :- Conclusion

ينبغي للباحث على الأقل أن يمتلك من الشجاعة والوعي وحسن النية وما يتاح له من إن يقف بتأني وروية المسؤولية التاريخية التي تقع على كاهله كونه عاملا في قطاع الثقافة وينهل من تراث العراق الفكري والجمالي والحضاري الذي لم يقوم على أكتاف قومية أو طائفة معينة بل هو نتاج كل أهل العراق هذه الثروة الفكرية والحضارية تخص العراقيين فقط وهي مشتركة بينهم جميعا. ومسؤولية الباحث تحتم عليه المصادقية والحيادية في طرحه للمواضيع، ومن الواجب عليه إن يسعى لخدمة بلده ومجتمعه دون التحيز الفئوي أو العرقي لطائفة أو قومية معينة. ومن خلال بحثنا المتواضع ظهرت بعض النتائج المهمة أو التي نراها ضرورية لأنها قد تفسح المجال أمام المهتمين في هذا المجال للانطلاق والتوسع في المواضيع ذات الصلة مستقبلا.

نتائج البحث: -

١- الاستعمار يسعى دائما إلى تغيير الواقع الاجتماعي الذي يسيطر عليه نحو الأسوء واصفا إياه بأبشع الصور ومحاولة نعتة بصفات لم تكن فيه، فالاستعمار الانكليزي مثلا قد أسس أول وزارة للدعاية في بريطانيا، سميت وزارة الإعلام، خلال الحرب العالمية الأولى وكانت مهمتها، كما أعلن وقتها بصراحة، السيطرة على عقل العالم وقد هيئة الرأي العام الغربي، وصورة له إن أهل العراق لهم طبيعة فوضوية، ومشاغبة معروفة لدى الأوربيين، وعدم رغبة العراقيين في الغرب عموما وبريطانيا خصوصا، ومجتمع العراق لا يجذب إي شكل من أشكال التعاون ولا يرغبون في إقامة أي حكم أو حكومة لتنظيم أموره.

٢- حققت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الاستقلال السياسي للعراق، وحافظت على كيانه وسيادته الوطنية الكاملة وإلغاء جميع المعاهدات الاستعمارية الجائرة والمخلة بالسيادة الوطنية ولأول مرة في تاريخ العراق تم التأكيد على الوحدة الوطنية وحقوق القوميات والمشاركة الفعلية في إدارة الدولة والتي كفلها الدستور المؤقت ضمن المادة الثالثة في ٢٧-٧-١٩٥٨م.

٣- إن وراء فشل تشكيل أو إقامة مشروع وطني لبناء الدولة العصرية التي يطمح لها جميع أبناء مجتمع العراق هو الطوق الإقليمي والتأمر العربي الذي ما انفك يحاول تأليب الأحزاب الموالية له والتدخل السلبي المستمر في شؤون العراق، والعزف على أوتار الطائفية المقيتة، وهذا الطوق لازال مستمرا لحد الآن ولم يعرف المبرر لذلك.

٤- دولة العراق ونظمها السياسية المتعاقبة كانت تقيم الدولة على مدى قوتها العسكرية بغض النظر عن تحضرها وتمدينها وهي فاقده لتنظيم العلاقة بين المجتمع والدولة، أكدت على بناء

هيكلية الدولة وأدامت مؤسستها العسكرية أكثر من التركيز على بناء المجتمع، وحظيت قوات محددة من المجتمع بالامتيازات فيما تحولت غالبية المجتمع إلى مجرد تابع أو مواطن مسخ خانع .

خامسا:- كانت سياسة الحكومات العراقية المتعاقبة ذات نظم شمولية تركز على زيادة عدد أعضائها في أجهزة الدولة لضمان تأييدهم في ذات الوقت أداة قمعية لإرعاب المجتمع أدت إلى تضخم جهاز الدولة بشكل مريع انعكست آثاره على اقتصاد العراق.

سادسا:- لم تكن في العراق تنمية حقيقية، وجادة لبناء مجتمع اقتصادي نموذجي وتأهيل أفرادها ليكونوا منتجين وليس عاطلين بالوراثة.

سابعا:- لا توجد نوايا حسنة لدى الأنظمة السياسية الشمولية السابقة لخلق ثقافة لعراق موحد تكون المواطنة عنوان رفعته وسبب بقائه وروح دولته المرتقبة وضمير تاريخه المديد.

ثامنا:- الدولة المدنية من أولويات مهامها إتاحة الحقوق والحريات العامة والخاصة لجميع المواطنين مقابل إنجاز وظائفهم المكلفين فيها اتجاه بعضهم البعض ضمن نظام الدولة العام دون التمييز بين أبناء المجتمع.

تاسعا:- إن مشروع بناء الدولة يعتمد الطابع المؤسساتي ضمن قناعات قوى المجتمع المدني، والحفاظ على المجتمع من التشرذم والانقسام، وفق الهوية الوطنية، ومن التصدع لذا يصبح حضور الدولة ضرورة فاعلة لتكامل المجتمع المدني الذي هو الأساس في بناء دولة مدنية ديمقراطية نابذة من ضمير مجتمع العراق بكل خصوصياته تكون في ظل مناخ ديمقراطي حر، ومؤسسة إدارية سياسية مدنية ليست سلطوية ذات صبغة عسكرية يديرها القادة العسكريين كما هو حال اغلب بلدان العالم الثالث.